

الأمثل في تفسير كتاب ا المنزل

[615] الكتاب لم تكفرون بآيات ا وا شهيد على ما تعملون) والمخاطب في هذه الآية هم أهل الكتاب ويقصد منهم هنا اليهود، فإ سبحانه يأمر نبيه في هذه الآية أن يسألهم معاتباً عن علّة كفرهم بآيات ا في حين أن ا يعلم بأعمالهم. والمراد من آيات ا المذكورة في هذا المقام إما الآيات الواردة في التوراة حول الرسول الأكرم (صلى ا عليه وآله وسلم) وعلائم نبوته، أو مجموعة الآيات والمعجزات التي نزلت على نبي الإسلام، وتحققت على يديه، وكشفت عن حقانيته، وصدق دعوته، وصحّة نبوته. ثم جاءت الآية الثانية تلومهم قائلة (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل ا من آمن، تبغونها عوجاً وأنتم شهداء) أي قل يا رسول ا لهم لائماً ومنندداً : إذا كنتم غير مستعدين للقبول بالحق، فلماذا تصرون على صرف الآخرين عنه، وصدّهم عن سبيل ا، وإظهار هذا الطريق المستقيم في صورة السبيل الأعوج بما تدخلون من الشبه على الناس، في حين ينبغي - بل يتعين - أن تكونوا أول جماعة تبادر إلى تلبية هذا النداء الإلهي، لما وجدتموه من البشائر بظهور هذا النبي في كتبكم وتشهدون عليه. فإذا كان الأمر كذلك فلم هذه الوسواس والمحاولات لإلقاء الفرقة وإضلال الناس، وإزاحتهم عن سمت الحق، وصدّهم عن السبيل الإلهي القويم ؟ ولم تحملون أثقالاً إلى أثقالكم، وتتحملون إلى إثم الضلال جريمة الإضلال ؟، لماذا ؟ هل تتصورون أن كل ما تفعلونه سيخفى علينا ؟ كلا... (وما ا بغافل عمّا تعملون) إنه تهديد بعد تنديد، وإنه إنذار بعد لوم شديد. ولعلّ وصفه سبحانه بعدم الغفلة في هذا المقام لأجل أن اليهود كانوا - لإنجاح محاولاتهم - يتكتمون ويتسترون، ويعمدون إلى حبك المؤامرات في الخفاء، لينجحوا في التأثير على المغفلين والبسطاء بنحو أفضل، وليجنوا المزيد من الثمار،